

قراءة في كتاب " في نقد الاستشراق،
المحور أركون/ صالح" لـ محمد المزوغي

الدكتور: لعلى سعادة
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر - بسكرة

مقدمة:

أثارت ظاهرة الاستشراق، ولا تزال، جدلا كبيرا ونقاشا لا يكاد ينتهي بين الباحثين، منهم من يؤيد الظاهرة، ومنهم من يناصبها العداء، ولكل طرف حججه ومبرراته. وقد نجم عن ذلك مؤلفات كثيرة يسعى كل فريق فيها إلى إبراز وجهات نظره وتدعيمها بما يحقق له الوصول إلى الغاية، وهي إقناع المتلقي، والتأثير فيه. ومن المؤلفات التي تناولت الظاهرة الاستشراقية، كتاب: " في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح" لـ محمد المزوغي⁽¹⁾

التعريف بالكتاب:

الكتاب موسوم بـ: " في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح". للكاتب: محمد المزوغي. صدر الكتاب عن دار أفريقيا الشرق بالدار البيضاء/ المغرب، سنة 2017، ويضمّ 215 صفحة من الحجم المتوسط، واشتمل على خمسة عشر عنوانا، بالإضافة إلى تصدير وخاتمة.

ضمّن الكاتب كتابه العناوين الآتية:

- . صالح، الوعد والوعد.
 - . عودة إلى المنبع الأصلي.
 - . الفيلولوجيا: رأس الأفعى.
 - . العصا والجزرة.
- (هذه العناوين الأربعة لم تتضو تحت عنوان محدد)

(الاحتكاك المباشر بالمستشرقين وأشباه المستشرقين): عنوان كبير يضم مجموعة

من العناوين المتصلة به، منها:

. لويس غرونيباوم وآخرون

. عنزة ولو طارت

. الحوار المهزلة

. ردود المستشرقين الأولى.

. مستشرقون يصححون الاستشراق

. تنازلات روندسون المحرجة

. آثار أركون الدائمة

. آثار أركون العابرة

. فتح باب مفتوح

. تفاصيل وأخطاء.

هذه العناوين جاءت في شكل مقالات، يجمع بينها انتقاد ومهاجمة محمد أركون وطريقة تعاطيه مع الظاهرة الاستشراقية؛ إذ يرفض تطبيق الفيلولوجيا لدراسة الفكر العربي الإسلامي.

ففي التصدير نقراً ما يأتي: " ما دخلُ أركون وصالح هاشم في كل ما يقوله المستشرقون عن القرآن الكريم الذي أخذ نصفه من التراث التلمودي اليهودي، والنصف الآخر مأخوذ من التراث الوثني؟ وهما (أركون وصالح) مشهوران بانفتاحهما الفكري، خصوصاً أركون الذي يؤكد على ضرورة استخدام مناهج العلوم الإنسانية لدراسة التراث الإسلامي." (2)

ويضيف الكاتب محمد المزوغي: " دون أن أستبق النتائج، لقد بينت في كتابي هذا أن العدو الوحيد لأركون وصالح، هما الاستشراق والفيلولوجيا، أو التاريخ النقدي ومقارنة الأديان، وإذا انصبّت أعمال المستشرقين على سبر القرآن الكريم أو الفحص النقدي في المصادر الأولى، أعني مصادر السيرة والأحاديث، فإن أركون وصالح ينتصبان بأقصى جهدهما لمعارضة المستشرقين، وهكذا يلتحقان بالإسلاميين." (3)

تُبرز هذه الفترة عتابا ولوما شديدين لصالح هاشم ومحمد اركون، خاصة، بل تجاوزت نبرة العتاب واللوم إلى تهمة الاضطفاف مع الإسلاميين، مبديا في ذلك استغرابا وتعجبا، لأن ما يعرفه عن فكريّ الرجلين أنهما لا ينسجمان مع أفكار الإسلاميين!؛

ونقرأ في مقال عنوانه: "صالح: الوعد والوعيد" ما يشي بانخفاض حدّة انتقاد الكاتب لصالح هاشم، إذ يقول عنه: "لقد تساءل هاشم صالح يوما عن الفارق الذي يفصل بين الدراسات الاستشراقية الأكاديمية، عالية المستوى، والكتابات العربية الإسلامية التي تملأ رفوف المكتبات؟ وكان جوابه هو أن كتاباتنا، عموما، مغموسة غمسا بالنزعة التبجيلية والغيبية التي تنسى حقائق التاريخ الأرضي، أو تطمسها طمسا كاملا تقريبا،

وفي مقابل ذلك فإن كتابات المستشرقين تتميز بسيطرتها الكبيرة على المنهج التاريخي بكل أدواته ومصطلحاته، وتحاول تطبيقه على تراثنا الإسلامي. وتكون النتيجة إضاعة لك يسبق لها مثل لهذا التراث... إذ يكفي فتح أيّ كتاب عربي إسلامي عن التراث حتى نتيقن من ذلك. وبديهي بذاته أن المستشرقين بتطبيقهم للمنهج التاريخي النقدي، أضاعوا التراث الإسلامي بطريقة قلّ نظيرها." (4)

يبدو جليا أن المزوغي يحاول التقرب إلى هاشم صالح عن طريق تبرئته من معاداة المستشرقين؛ إذ أثبت تأييد صالح لهم، وذلك بمباركة جهودهم وتثمين دورهم في إضاعة التراث الإسلامي.

إن هذا الطرح يجد من يعارضه؛ إذ تكفي الإشارة إلى أن كل أهداف الاستشراق مطعون فيها؛ ففي الهدف العلمي . مثلا . يصرح (ريتشارد سوزرن) "أن أوروبا ما كان لها أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بما يتيح لها ذلك، حيث انكبت على دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع الميادين العلمية." (5)

كما أن الدعوة إلى العامية، في الهدف الثقافي، بمثابة إعلان الحرب على اللغة الفصحى والحداثة في الأدب والفكر، وذلك حين دعا البعض إلى تحطيم السائد الموروث وتفجير اللغة، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك بتوقّعهم استبدال مصر اللغة العربية باللغة الفرنسية، على غرار دول شمال إفريقيا. (6)

وفي موضوع الاحتكاك المباشر بالمستشرقين وأشباه المستشرقين، لويس غرونباوم وآخرون، يصعد المؤلف لهجة العتاب في حقّ محمد أركون بسبب افتتانه بكتابات (لويس

قراءة في كتاب "في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح" لـ محمد المزوغي د/ لعلى سعادة برنارد). وفي هذا الصدد يقول محمد أركون عن مداخلة ألقاها (لويس برنارد)، موسومة بـ (الدولة والفرد في المجتمع الإسلامي): " نجد في هذا النص مزايا وملاحم استاذ جامعة برنستون الكبير. نجد روحا وذكاءً حادًا ومعلومات واسعة لا يعثرها النقص، وسيطرة رائعة على فن الكتابة وتقديم الأفكار، ومسارا واثقا من نفسه لا يضيع مطلقا وسط التبخر العلمي الثقيل أو التفكير المجرد أو الانحراف المنهجي.. إن قراءة برنارد لويس او الاستماع إليه يمثل متعة حقيقية." (7)

لقد وصف المؤلف العتاب الذي وجّهه إلى أركون بـ (عتاب الأحيّة) لأن أركون . حسب المؤلف . لم يطّلع على الأعمال السابقة لأستاذ جامعة برنستون ولا على المراجعات التي كتبها حُذّاق القوم عن مؤلفاته. (8)

حاول مؤلف الكتاب أن يشرّح فكر كل من محمد أركون وصالح هاشم ويقدمهما في صورة المعاديين للاستشراق والمستشرقين الذين بذلوا . حسب المؤلف . كثيرا من الجهود لدراسة وتحليل التراث والفكر العربي والإسلامي، غير أنّ أركون . حسب المؤلف دائما . تقه كل هذه الجهود، وازدرى أعمال المستشرقين ومنهجهم. (9) وتبعه في الخط نفسه صالح هاشم الذي افنتن بنهج أركون . حسب . المؤلف .

خاتمة:

إذا كانت كثير من الكتب تعارض منهج الاستشراق، مثل (الاستشراق وجهٌ للاستعمار) (10) لـ عبد المتعال محمد الجبري، و (تعقيبات على الاستشراق) (11) لإدوارد سعيد. وكتاب: ردود على المستشرقين لـ (يحي مراد)، وغيرها... إذا كانت هذه الكتب تختلف مع رؤى المستشرقين ومنهجهم، فإن كثيرا من الكتب تتفنّن في إظهار محاسن الاستشراق، وتثني على جهود المستشرقين الذين كشفوا عن أسرار مضمرة في التراث والفكر العربيين، وهذا الكتاب . الذي اجتهدت قراءتنا في تقديم بعض افكاره ومحتواه . واحد منها. أسأل الله التوفيق والسداد.

مراجع الدراسة:

1. The reception of Najib Mahfoudin american, Salah Altouma, General literature. (Bloomington : publication in Comperative and quoting, Geoge Young , Egypt, Indiana University press, 1993, London,

2. أركون، محمد، تاريخية العقل الإسلامي، بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي، 1998،
3. الجبري، عبد المتعال محمد ، الاستشراق وجه للاستعمار، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1416 هـ، 1995م،
4. سعيد، إدوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي جديدي، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996.
5. سوزن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة وتقديم رضوان السيد، بيرت، لبنان، معهد الإنماء العربي، 1984،
6. محمد المزوغي، في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، 2017،

هوامش الدراسة:

1. كاتب تونسي يعيش في إيطاليا منذ 1989.
2. المزوغي، محمد، في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، 2017، ص5.
3. نفسه، ص6.
4. نفسه، ص9.
5. ينظر سوزن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة وتقديم رضوان السيد، بيرت، لبنان، معهد الإنماء العربي، 1984، ص34.
6. The reception of Najib Mahfoudin american, Salah Altouma, General literature. (Bloomington : publication in Comperative and quoting, Geoge Young , Egypt, Indiana University press, 1993, London, p160 ...179.
7. أركون، محمد، تاريخية العقل الإسلامي، بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي، 1998، ص254.
8. المزوغي، محمد، في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح، ص56.
9. نفسه، ص204.

قراءة في كتاب "في نقد الاستشراق، المحور أركون/ صالح" لـ محمد المزوغي د/ لعلی سعاده

10. الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1416 هـ، 1995م،

11. سعيد، إدوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير صبحي جديدي، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996.